

[**سُنَّةُ الْفَجْرِ حِكَمٌ وَأَحْكَام**](https://al-badr.net/detail/vfZqURAgHaQh)

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم يا ربنا فقِّهنا في الدين ، اللهم علِّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علَّمتنا وزدنا علمًا ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، اللهم يا ربنا بارك لنا في جمعنا هذا واعمُر وقتنا فيه بما يرضيك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام. أما بعد :

معاشر الأحبة الكرام : الحديث في هذا اللقاء عن «راتبة الفجر» ؛ تذكيرًا بهذه الصلاة وعظيم شأنها ورفيع مكانتها ليعظُم أمرها في نفوسنا زيادةً على ما فيها من تعظيم لهذه الصلاة .

«راتبة الفجر»؛ ويقال لها «سنَّة الفجر» ، ويقال لها «رغيبة الفجر» ، ويقال لها «ركعتا الفجر» صلاةٌ عظيم شأنها ، قد ورد في فضلها نصوص عديدة عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه في تعظيم شأن هذه الصلاة وبيان رفيع مكانتها ، وتأتي هذه الصلاة المباركة العظيمة في مفتاح اليوم وبدايته ، فهي أول عمل المسلم في يومه ، فإنَّ اليوم يُفتتح بهذه الصلاة والليل يُختتم بالوتر ؛ ولهذا ما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يترك ركعتي الفجر والوتر في سفر ولا حضر ، قد صح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت عن ركعتي الفجر: «ما تركهما النبي صلى الله عليه وسلم أبدًا» أي لا في سفر ولا في حضر .

وهذه الصلاة -أعني ركعتي الفجر التي هي راتبة الفجر وتسبق صلاة الفجر الفريضة وتأتي بين يديها- صلاة عظيمة جدا ، لو لم يأتِ في فضلها إلا حديث عائشة رضي الله عنها المخرج في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) ، وجاء أيضا في صحيح مسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن ركعتي الفجر وعن شأن ركعتي الفجر: ((لَهُمَا أَحَبُّ إِلَىَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا)) . فتأمل رعاك الله هذا الفضل العظيم والخير العميم الذي جعله الله سبحانه وتعالى في هذه الصلاة ؛ حتى إن نبينا صلى الله عليه وسلم أخبر أن هاتين الركعتين خيرٌ من الدنيا وما فيها .

وتأمل هنا أيضا: إذا كانت ركعتا الفجر النافلة خير من الدنيا وما فيها فأي شيء إذًا تكون صلاة الفجر الفريضة!! وما تقرب متقربٌ إلى الله بشيء أحب إلى الله مما افترض عليه ، فإذا كانت رغيبة الفجر خير من الدنيا وما فيها فإذًا ماذا تكون صلاة الفجر وماذا يكون شأنها !! وأيضا تأمل فيمن تفوته صلاة الفجر أيُّ حرمان حصله! وأي خيبة باء بها ! وأي خسران نال؛ إذا كان يصبح وقد فوَّت على نفسه رغيبة الفجر وفوَّت على نفسه فريضة الفجر فهذا هو الحرمان والخسران العظيم ، حرم نفسه من خيرٍ هو خير من الدنيا كله وخير منها وما فيها .

وكان من شأن ركعتي الفجر عند النبي صلى الله عليه وسلم ما ثبت في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مِنْهُ تَعَاهُدًا عَلَى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ» ؛ وهذا فيه أن ركعتي الفجر نافلة وليست واجبة ولهذا قالت «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاهد شيئا من النوافل» ، فهي نافلة لكنها نافلة عظيمة وورد فيها فضل عظيم وثواب جزيل .

ومن وفقه الله عز وجل لأداء هاتين الركعتين مع فريضة الفجر وهي تكون أربع ركعات فإنه يكون يومه كله كفاية وفي ذمة الله ، فقد ثبت في الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((قال الله تعالى)) وهذا حديث قدسي ((ابْنَ آدَمَ ارْكَعْ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ)) هذا كلام الله عز وجل يرويه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ((ابْنَ آدَمَ ارْكَعْ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ)) ؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : الأربع الركعات هما نافلة الفجر وفريضة الفجر، فمن صلى هذه الأربع كُفي يومه كله . وتأمل هنا قول الرب جل شأنه ((ابْنَ آدَمَ ارْكَعْ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ))؛ الله جل وعلا غني عن عباده وعن ركعاتهم وعن سجودهم وعن صلواتهم وعن دعائهم وغني عن العالمين، لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين {مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا}[الإسراء:15] ، {يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ(15) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}[فاطر:15-16] مع غناه الكامل ينادي عباده هذا النداء ((ابْنَ آدَمَ ارْكَعْ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ)) .

ويستفاد من هذا الحديث أن ركعتي الفجر مع فريضة الفجر فيهما حفظ للعبد وكفاية له واستقامةٌ لأمره في يومه ؛ فإن هذه الصلاة فريضة الفجر مع نافلتها يتحقق بها انتظام أمر المرء في يومه ، فإن لم يكن منه هذه الصلاة صار أمره فرطا ، لا ينتظم أمره بل يكون أمره في يومه ضياعًا ، لأن مفتاح اليوم وما يكون به حفظ اليوم ضاع عليه فيتحقق له هذا الحرمان ، ولهذا يؤثر عن بعض السلف كلمة عظيمة في هذا الباب يقول فيها : «يومك مثل جَمَلك إن أمسكت أوله تبِعك آخره» ، ويقول ابن القيم في المعنى نفسه: «أول اليوم شبابه ، وآخر اليوم شيخوخته، ومن شبَّ على شيء شاب عليه» ؛ يعني ما يكون في أول النهار ينسحب على بقية النهار ؛ إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر ، إن طاعة فطاعة وإن إضاعة فإضاعة ، ولهذا يعتبر أول اليوم مفتاح اليوم شأنه عظيم جدا ، ولهذا هذه النافلة نافلة الفجر التي تسبق صلاة الفجر هذه ليست هينة ، أمرها عظيم جدًا ومكانتها عظيمة ، ولهذا كما تقدم قال النبي صلى الله عليه وسلم عنها : ((خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)) وقال: ((لَهُمَا أَحَبُّ إِلَىَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا)) .

وعليه فإن المسلم الناصح لنفسه المريد لحفظ يومه واستقامة يومه وسلامة يومه وتحقق مصالحه عمومًا الدينية والدنيوية في يومه عليه أن يمسك بهذا الزمام وأن يجوِّد هذا الخطام وأن يحفظ يومه من أوله بهذه الصلاة العظيمة التي هي بركة عليه في يومه كله .

ثم إن من هدي النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الصلاة -أعني راتبة الفجر- أنه كان يخففها ، ما يطوِّل فيها ، فقد جاء في الصحيح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّى رَكْعَتَي الْفَجْرِ فَيُخَفِّفُ حَتَّى إِنِّي أَقُولُ هَلْ قَرَأَ فِيهِمَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ» يعني من شدة التخفيف ومن شدة المبالغة مبالغتها في وصف تخفيف النبي صلى الله عليه وسلم لركعتي الفجر التي هي النافلة تقول «حتى كنت أقول أقرأ فيها بأم القرآن أو لم يقرأ» ؛ تقول ذلك على وجه المبالغة في وصف تخفيفه لهذه الصلاة وإلا هو يقرأ فيها قطعًا بأم القرآن، بل يقرأ فيها كما سيأتي كما في أحاديث لاحقة يقرأ في هذه سور وآيات ، لكنها على وجه المبالغة في وصف التخفيف لهذه الصلاة قالت ذلك رضي الله عنها . بعض العلماء ذهب أخذًا من هذا الحديث بأنه لا يُقرأ فيها بفاتحة الكتاب وهذا قول بعيد جدًا وفهم غريب أيضا ، وعائشة رضي الله عنها إنما قالت ذلك مبالغةً في وصف التخفيف الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الصلاة . ولهذا فإن السنة أن يخفف المرء هذه الصلاة وأن يأتي بها خفيفة تأسيًا بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

وليس هناك صلاة بعد الأذان إلى أن تقام صلاة الفجر إلا هذه الصلاة يؤتى بها خفيفة ثم يتفرغ المرء لذكر الله سبحانه وتعالى بما تيسر له إلى أن تقام الصلاة وقد تهيأ لها بهاتين الركعتين وتهيأ لها بما يسَّر الله له من ذكر لله سبحانه وتعالى .

ثم إنه إذا جاء المرء أو وصل إلى المسجد ولم يصلِّ هاتين الركعتين وقد أقيمت الصلاة فليس له أن يصلي هاتين الركعتين وقد أقيمت الصلاة ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلاَ صَلاَةَ إِلاَّ الْمَكْتُوبَةُ)) . وإن قُدِّر أنه كبَّر وهو في أول صلاته وأقيمت الصلاة ؛ إن كان في أول صلاته قطعها ، وإن كان مضى فيها ويطمئن أنه سيُدرك تكبيرة الإحرام مع الإمام فإنه يتمُّها ، وخاصة أنها كما عرفنا تصلى خفيفة كما هو هدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

ومن لم يتمكن من أدائها قبل الصلاة؛ فله أن يصليها بعد صلاة الفجر مباشرة ، وله أن يصليها بعد طلوع الشمس وقت صلاة الضحى ، وهذا ورد فيه حديثان: الأول في سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم رَأَى رَجُلاً يُصَلِّى بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ له عليه الصلاة والسلام : ((صَلاَةُ الصُّبْحِ رَكْعَتَانِ)) ما في زيادة ، فَقَالَ الرَّجُلُ: «إِنِّي لَمْ أَكُنْ صَلَّيْتُ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا فَصَلَّيْتُهُمَا الآنَ» فَسَكَتَ النبي عليه الصلاة والسلام ، وهذا السكوت يُعرف عند أهل العلم بـ«السنة التقريرية» ، لأنه لو كان فِعله خطأ أو فيه مخالفة لأنكر عليه ، فلما سكت عنه عليه الصلاة والسلام دل ذلك على الجواز جواز قضاء ركعتي الفجر النافلة بعد انقضاء الفريضة مع أنه وقت نهي لقوله عليه الصلاة والسلام : ((لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ)) ، لكنه بهذا الحديث يعد سببًا ، فتعد هذه الصلاة من ذوات الأسباب التي يجوز أن تصلى في هذا الوقت . والحديث الآخر في مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من فاتته ركعتا الفجر فليصلِّهما بعد طلوع الشمس)) وهذه سنة قولية. ولهذا ذهب أهل العلم إلى أن هذا هو الأفضل ، الشيء الذي أرشد إليه ووجَّه إليه عمومًا أفضل من الأمر الذي أقر عليه رجلا رآه عليه الصلاة والسلام يصلي بعد الفجر . وعلى كلٍّ هذا جائز وهذا جائز ؛ إن قضاها بعد الفجر مباشرة أو قضاها بعد طلوع الشمس كلاهما جائز ، وإن كان الأولى أن تُقضى في الوقت الذي أرشد إليه عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث بقوله ((من فاتته ركعتا الفجر فليصليهما بعد طلوع الشمس)) .

هذه الصلاة نافلة الفجر ثبت في السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرأ في الركعة الأولى بـ{قل يا أيها الكافرون} والركعة الثانية بـ{قل هو الله أحد} ، وهذا ثابت في حديث أبي هريرة في صحيح مسلم قال : «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَرَأَ فِي رَكْعَتَي الْفَجْرِ {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} وَ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} » . وثبت أيضًا في الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الأولى من الفجر بقوله تعالى { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[البقرة:136] ، ويقرأ في الثانية بالتي في آل عمران { قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[آل عمران:64] » ؛ فهذا ثابت وهذا ثابت ، والسنة فيما جاء فيه العمل ثابتًا عن النبي صلى الله عليه وسلم متنوعًا أن يُعمل بهذا تارة وبهذا تارة ، وهذا يكون فيه الموافقة للسنة في كل عمل النبي عليه الصلاة والسلام، وهو ما يسمى بـ«اختلاف التنوع» ، فاختلاف التنوع يؤتى به متنوعًا كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ولهذا يسن أن يقرأ المسلم في هذه الصلاة ركعتي الفجر مرةً بـ{قل يا أيها الكافرون} و{قل هو الله أحد} ، ومرة بالآيتين اللتين من سورة البقرة وسورة آل عمران .

جاء في حديث حسَّنه بعض أهل العلم أن النبي عليه الصلاة والسلام سمع رجلا يقرأ في الأولى من ركعتي الفجر بـ{قل يا أيها الكافرون} فقال عليه الصلاة والسلام : ((هذا رجل آمن بربه)) ، ثم سمعه يقرأ في الثانية بـ{قل هو الله أحد} فقال عليه الصلاة والسلام : ((هذا رجل عرف ربه)) . لو تتأمل في هذا {قل يا أيها الكافرون} هذه السورة تتعلق بالجانب العملي جانب التعبد والتقرب إلى الله وإخلاص الدين له سبحانه وتعالى ، فهي سورة أخلصت في التوحيد العملي ، و{قل هو الله أحد} قال عنه عليه الصلاة والسلام ((هذا رجل عرف ربه)) لأن هذه السورة أخلصت في التوحيد العلمي توحيد المعرفة والإثبات . فالمطلوب في {قل هو الله أحد} معرفة وإثبات، والمطلوب في {قل يا أيها الكافرون} عبادة وعمل وإخلاص الدين لله سبحانه وتعالى .

افتتاح اليوم بركعتين يقرأ فيهما المسلم ب{قل يا أيها الكافرون} و{قل هو الله أحد} هو افتتاح لليوم بالتوحيد بنوعيه ، ومعلوم أن التوحيد هو الأساس الذي يبنى عليه الدين كله ، فافتتاح اليوم بهاتين السورتين هو افتتاح له بالتوحيد بنوعيه ، لأن التوحيد الذي خلق الله سبحانه وتعالى الخلق لأجله وأوجدهم لتحقيقه نوعان: علمي وعملي .

تأمل في هذا الآية الأخيرة من سورة الطلاق قال الله فيها :{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ } لماذا؟{لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12)} خلق لتعلموا ؛ فهذا مقصود للخلق أن نعلم بالله وأن نعرف الله بأسمائه وصفاته وعظمته؛ وهذا المعنى أخلصت له سورة الإخلاص {قل هو الله أحد} ، أخلصت لبيان صفة الرب ، ولذلك الرجل الذي جاء في السنة أنه كان يصلي ويختم بـ{قل هو الله أحد} فاستشكل من معه ذلك فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((سلوه لأيِّ شيء يفعل ذلك؟)) فقال الرجل: «لأن فيها صفة الرحمن وأنا أحب الرحمن» فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بخبره فقال: ((أخبروه أن حبه إياها أدخله الجنة)) ، فالشاهد من قوله «لأنها صفة الرحمن» فسورة الإخلاص {قل هو الله أحد} هي أخلصت لبيان صفة الرب ، ولهذا لما سمع عليه الصلاة والسلام رجلا يقرأ قال ((عرف ربه)) لأنها سورة تعرِّف بالرب مشتملة على صفة الرب سبحانه وتعالى .

أما سورة الكافرون فهي في الجانب العملي ، قد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الذاريات { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)} ؛ فهذا الجانب من التوحيد الذي هو العملي أخلصت هذه السورة التي هي سورة {قل يا أيها الكافرون} لبيانه وتقريره وأن الدين لله عز وجل؛ لا يُعبد إلا الله ، لا يدعى إلى الله ، لا يستغاث إلا بالله ، لا يذبح إلا لله ، لا يصرف شيء من العبادة إلا لله، { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}[الكافرون:2] العبادة كلها لله وإخلاص له سبحانه وتعالى ، هذا هو دين الإسلام قائم على إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}[الأنعام:162-163] .

حديث ابن عباس ذكر فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الأولى من ركعتي الفجر { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ} إلى آخرها[البقرة:136] وفي الثانية بـ { قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ}[آل عمران:64] إلى آخرها ؛ يقول ابن تيمية رحمه الله عن الآية الأولى قال: هذه آية الإيمان ، والثانية قال هذه آية الإسلام . وهذا هو الدين ، الدين إيمان وإسلام ، عقيدة وشريعة ، علم وعمل ، هذا هو دين الله سبحانه وتعالى ، فالآية الأولى فيها أصول الإيمان حتى إن هذه الآية الكريمة اشتملت إجمالًا على تفاصيل المعتقد وتفاصيل الديانة وأمور الاعتقاد كلها حوتها هه الآية اشتملت عليها إجمالا .

فإذا تأملت في مضامين هذه الآية الكريمة كلها جاءت على أصول الإيمان وقواعده المتينة التي يقوم عليها دين الله ؛{قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ}هذا فيه الإيمان بالله بربوبيته وأسمائه وصفاته وعظمته وجلاله ووحدانيته، { وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا}هذا فيه الإيمان بالكتاب والسنة ، والإيمان بالكتاب والسنة يشمل الإيمان بألفاظ الكتاب والسنة والإيمان بمعاني الكتاب والسنة؛ وهذا يشمل الدين كله ، الدين كله يدخل تحت قوله{ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} ، ثم قوله {وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ } هذا فيه الإيمان بالرسل والإيمان بالكتب بكل كتاب أنزله الله { وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ} قال الله تعالى {وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ}[الشورى:15] أي على أي رسول . وفيه أن عقيدة الإسلام إيمان بالرسل كلهم لا يفرقون بين رسول وآخر ونبي وآخر ، لأن التفريق بين نبي ونبي والإيمان ببعضٍ والكفر ببعض هو الكفر حقًا كما وصفه الله سبحانه وتعالى بذلك في القرآن الكريم . فالشاهد أن هذه الآية الأولى آية الإيمان؛ فيها تقرير أصول الإيمان أصول المعتقد وقواعد الدين اجتمعت في هذه الآية الكريمة .

الآية الثانية التي تقرأ في الركعة الثانية آية الإسلام لأن فيها عمل { قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ } هذه عبادة وعمل {وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[آل عمران:64] هذا الجانب العملي جانب العبادة والإخلاص والتقرب .

ولو تأملت تجد أن المحتوى إجمالا في الآيتين نظير ما جاء في سورة الإخلاص وسورة قل يا أيها الكافرون؛ إحداهما في العلم والأخرى في العمل ، وهذه إحداهما في العلم والأخرى في العمل . وإذا تأملت في ذلك كله يهديك إلى أن افتتاح اليوم بهاتين الركعتين مع هاتين السورتين أو الآيتين مرة ومرة هو افتتاحٌ لليوم بالإيمان الصحيح بالعقيدة الصحيحة بالإخلاص لله ، كأنك تفتتح يومك وقد وضعت أسس اليوم الذي يقوم عليها اليوم ، بل لا يقوم اليوم إلا عليها ، هذه أسس اليوم ، اليوم الذي يمضي العبد فيه ينبغي أن يكون قائمًا على أسس ، هذه يؤتى بها في هاتين الركعتين اللتين هما مفتاح اليوم وبدايته ، فيأتي بهما تأسيسًا ليومه ، ويكون الشأن في هذا مثل ما قال الله {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ}[إبراهيم:24] إذا وُضعت الأصول على قواعدها وبُنيت على أصولها فإن الخير بإذن الله سبحانه وتعالى يتنامى ويكون المرء فيه على نهج سوي وجادة مستقيمة .

هذا الحديث الذي فيه بيان ما يقرأه النبي صلى الله عليه وسلم أو ما كان يقرأه النبي صلى الله عليه وسلم في ركعتي الفجر وهو بشكل يومي ، القراءة لهاتين السورتين أو لهاتين الآيتين كل يوم في الصباح الباكر يبدأ بهما يومه ؛ هذا فيه تأكيد على معنى مهم في حياة المسلم ألا وهو: أن التوحيد والإيمان يحتاج بشكل يومي إلى تجديد ، وقد قال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ)) ، فهذه القراءة العظيمة في هاتين الركعتين هي نوع مهم جدًا من تجديد التوحيد والإيمان الذي هو مطلوبٌ من المسلم أن يجدده بشكل يومي في حياته . وعموم الأذكار المأثورة والمشروعة والمأمور بها كلها تصب في هذا الباب تجديد الإيمان وتمتين قواعده في القلب وترسيخ أصوله في قلب المسلم .

على كلٍّ هذه أشياء يسيرة حول ركعتي الفجر أردت بها أن تكون معونةً لي ولإخواني على مزيد العناية بهاتين الركعتين العظيمتين محافظة عليها وعناية بها ، ومن يكرمه الله سبحانه وتعالى بأخذها والمحافظة عليها فإن يومه كله سلِم له ، واستقام له يومه ، ومن ضيَّعها خسر يومه ، فأمارة ربح العبد في يومه أن يجوِّد ويحافظ على هاتين الركعتين ومن بعدهما الصلاة العظيمة التي هي صلاة الفجر .

أسأل الله الكريم أن يجعل ما قلته حجة لنا أجمعين لا علينا ، وأن ينفعنا به ، وأن يجعله باب خير لنا وبركة في حياتنا ، وأن يجعله صلاحًا لنا ولذرياتنا . نسأل الله عز وجل أن يوفقنا وذرياتنا وأولادنا وأبنائنا للمحافظة على الصلاة ، أن يجعلنا وذرياتنا من المقيمين الصلاة ، وأن يوفقنا لكل خير ، وأن يصلح لنا شأننا كله وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات. اللهم آت نفوسنا تقواها ، زكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى . اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.